

Journal of Alasmarya University
Volume 11, June 2009

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الحادي عشر، يونيو 2009

أوراد الطريقة العروسية في ميزان الكتاب والسنة

د. محمد أيمن أحمد الجمال*

المقدّمة

جاء رسول الله ﷺ إلى هذه البشريّة رسولاً من الله تعالى، وكان همّه الأوّل هو تغيير عقول الناس وأفكارهم، ومن هنا فإنّ تركيز الإسلام واهتمامه الأوّل منصبّ على النفوس والبواطن لا على الظواهر والصور، ولهذا فقد علّم رسول الله ﷺ أصحابه هذا المعنى فقال: « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم »(1).

ولهذا فإنّ الاهتمام بأعمال القلوب وأحوالها من أهمّ أعمال المسلم، فواجب عليه أن يسعى في تربية نفسه وإصلاح قلبه وترقية روحه، وقد قام أقوام من المصلحين على مدار التاريخ الإسلاميّ بهذا الدور، فأخذوا على عاتقهم تربية الناس، فسمّوهم مرشدين ومربّين عارفين، وأخذوا عنهم طريق التربية، فوصلوا إلى مقامات سامية ومراتب عالية، بسبب التهذيب والمتابعة، وكان من أبرز هؤلاء في العالم الإسلاميّ، وأعظمهم شأنًا في الساحل الأفريقيّ الشماليّ سيدي عبد السلام الأسمر الذي سنتحدّث في هذه الورقات عن شيءٍ من أذكار طريقته وأورادها وأحزابها، مشتغلين بتخريج ما قدّمه لهؤلاء الأتباع.

وكانت هذه الطرق الصوفيّة كلّها تسلك مسلك التربية الروحيّة دون أن يكون بينها شيءٌ من النفاسة أو الحسد، ولكنّ الحال الذي كانت عليه لم يستمرّ بصفائه الأوّل إلى يومنا هذا، بل عانت الطرق الصوفيّة وتعاني اليوم في كثير من الأحيان من (شيوخ)

---

* جامعة عمر المختار.

1- رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه، برقم (2564).

هـم أحـوج مـا يكونون إلى التربية الروحيّة، ولهذا فقد كثرت فيهم الغلظة على أحبابهم مـن أتـباع الطـرق الأخـرى، وانتـشر بينهم نقد الآخرين، وذمّهم، قصداً وبغير قصدٍ، ولم يُدركوا أنّ سرّ بقاء هذه الطرق ونجاحها في العصور السابقة في تكوين شخصيّة المسلم هـو تحـرّرها مـن ربقـة النفس البشريّة وطمعها وجشعها وشحّها وأثرتها أن تملك كل مفاتـيح العلـم والـناس، ولهـذا فقد كان الواحد من الشيوخ فيما سبق يدلّ مريديه أو من يأتـيه طالبًا أن يكون مريدًا على غيره من الشيوخ ممّن يكون أقدر منه على تجلية حاله وتسوية كربه، والارتقاء به في طريق السير إلى الله تعالى.

وممّـا انتـشر الـيوم بـين أتـباع الطرق الصوفيّة على العموم عدم ثقتهم بطريقتهم، تلـك الـثقة الـتي مـن شأنها أن تدفع المريد إلى المجاهرة بكونه على الحقّ، والمفاخرة بكونه من أتباع طريق موصلٍ إلى حضرة علاّم الغيوب، الثقة التي تؤدّي بمن تتملّكه إلى الوصول إلى مقارعة الحجّة بالحجّة والدليل بالدليل، وما أحوجنا إليها.

إنّ ابـتعاد الطرق الصوفيّة اليوم عن منهجيّة العلم وطلبه أثّر في أتباعها، فما زلت تـراهم في اضمحلال وابتعاد عن الطريق، وما نفتأ نسمع بين الحين والآخر أنّ فلانًا من إخوان الطريق قد ابتعد عنه ونأى بنفسه عن مجالسة إخوانه، وكم سمعنا عن أبناء هؤلاء وهـم يـنخدعون بتـيارات معاصـرة تنـسب نفسها إلى الحقّ والسلف، وهم أبعد عنه من المشرقين. ولكنّ آباءهم لا يملكون حجّة ولا يستطيعون لأبنائهم دفعًا عن الانخراط في ذلـك الـسلك، والانجـراف مـع ذلـك التـيّار. وكم يؤلم كلّ مسلم غيور أن يتسمّى باسم الإسـلام والـسلف أشـخاصٌ لا يهـتمّون إلاّ بالمظاهـر، وأعمـال الأبدان، ولا يقتدون إلا بالمعاصرين!!! فأنّى لهم حقيقة الانتساب؟!!

إنّ عملـنا الـيوم ينبغـي أن ينـصبّ علـى إعادة إحياء التصوّف العلميّ في نفوس عامّـة المسلمين، التصوف الذي يُبنى على الدليل، التصوّف الذي يتوقّف عند المشتبهات، ويرفـضها، وإن قالها مشايخ وعلماء، فأولئك العلماء الربّانيّون الكبار قد علّمونا أنّ لكلّ مقـامٍ مقـال، وهذا مقامنا لا مقامهم، ولهذا فينبغي أن يكون لِنا مقالنا لا أن ننقل مقالهم فحـسب. وقـد كان أقوامهم في عصورهم يفهمون مقالتهم، ويدركون مغزاها، فلم يجدوا معاديًـا لهـم في وسطهم الذي ربّوا فيه مريديهم، كما أنّنا أيضًا لا ندري لعلّ بعض تلك الألفـاظ والعـبارات المنسوبة إليهم ليست من قولهم، بل من فهم تلاميذهم أو ممّا افتُرِيَ عليهم ويقولوها ونحن نجتهد في إيجاد التبرير المنطقيّ لها، والدفاع عنها!!

كما أنّ من المشاكل الرئيسة التي تُعاني منها الطرق الصوفيّة اليوم الهجمة الإعلاميّة الشرسة التي يقودها بعضُ أبناء أمّتنا عليهم، وهم واقفون لا يُحرّكون ساكنًا.

إنّك إن وضعت صخرةً تحت قطرات الماء المتتالية، فإنّك ستجد مع الزمن أنّ تتالي القطرات سيؤثّر في تلك الصخرة، وهذا ما يحدث مع الإسلام الصافي، إنّه صخرة كبيرة عسيرة التدمير، ولكنّ توالي الضربات بماء هدّار كاسر شديد، لا بدّ أن يؤثّر في تلك الصخرة، ولولا تعهّد الله سبحانه بحفظ كتابه، ودينه، لمَا وجدنا شيئًا من الإسلام الصافي الصحيح في زماننا.

ويأتي هذا البحث دراسة لأثر سيدي الشيخ عبد السلام الأسمر، ونقداً موضوعيّاً لدراسات تُصوّر أئمّة التصوّف بشكلٍ أسطوريّ مبالغ فيه، ونقداً أيضًا لدراسات تُصوّره بصورة الإنسان البسيط الساذج (الدرويش)، بما يمكّن من إبراز صورته الحقيقيّة عالمًا ربّانيًّا مخلصًا، صوفيًّا عالمًا، ولهذا نُسبت هذه الجامعة إليه.

وتأتي في أروقة هذه الدراسة دعوة متجدّدة موجّهة إلى الشباب للتمسّك بالأصالة والإرث الحضاريّ العظيم لهذا الصرح الذي أسسه سيدي عبد السلام الأسمر، والمحافظة على هذه المؤسسات، وهو المحور الرابع من محاور هذا المؤتمر. حيث سنتحدّث عن الطريقة العروسيّة، وبعدها الروحيّ، المتمثّل في أورادها، ومن خلال هذا البحث سيتّضح لنا بجلاء إن شاء الله تعالى طريقة التعامل مع من يوجّه سهام النقد اللاذع غير البنّاء إلى هذه الأوراد، ما كان منها واردًا، وما كان منها غير وارد. نسأل الله أن يوفقنا لما نصبو إليه.

ولكن قبل أن نبدأ في المقصود نقول: إنّ حال مشايخ الطرق وأتباعها اليوم بعيد في كثير من جوانبه عن منهج الإسلام الذي أراده أصحاب تلك الطرق ومؤسسوها، وسلكوا أتباعهم فيه، ولا يُعيدنا إلى ذلك الطريق الذي رسمه الشيخ الشاذليّ، والإمام الجيلانيّ، وغيرهم من أقطاب التصوّف الإسلاميّ الصافي إلاّ العلم النافع، والتمسّك بالدليل المقبول، وهذا ما نصبو إلى تحقيق جزء منه من خلال بحثنا هذا الذي سنتحدّث من خلاله في ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

سنتحدّث في المطلب الأوّل عن الطريقة العروسيّة بشكل عامٍّ ومختصر جدًا، وسنتحدّث فيه أيضًا عن منهجيتي في اختيار الأوراد التي قمت بالدراسة عليها. أمّا المطلب الثاني فسأتحدّث فيه عن الأذكار والأوراد التي وجدتها في الطريقة العروسيّة مأخوذة من نصٍّ، صريحًا كان، أو بمعناه. وأما ثالث المطالب فسأخصّصه للأذكار والأوراد التي لم

أجد لها دليلاً نصيًّا، وبيّنت معناها، ووجه الاستدلال لها، وكيفيّة قبولها. ثمّ سأذيّل ذلك كلّه بخاتمة أبيّن فيها أهمّ النتائج التي سأتوصّل إليها وأبرز التوصيات التي أرجو أن تكون مفيدةً نافعةً لإخواني من أتباع طريق الحقّ، والمنهج السويّ المستقيم. والله أسأل التوفيق والسداد والقبول ... إنّه خير مأمول

المطلب الأول

تمهيد

الطريقة العروسيّة واحدةٌ من الطرق المتفرّعة عن الطريقة الشاذليّة، وهي من الطرق التي انتشرت انتشارًا كبيرًا في العالم الإسلاميّ، وفضل هذه الطرق على سائر الأقطار الإسلاميّة لا يخفى، فقد ساهمت في تثبيت الإيمان في نفوس الناس، ودفعتهم إلى السعي لتحرير أرضهم من المحتلّين، كما أنّ لها أكبر الأثر في صقل أفكار الناس وإخراجهم من أوحال الأفكار الجاهليّة والنعرات الطائفيّة والقبليّة والمذهبيّة، لأنّ من أهمّ ما تقوم عليه الطرق الصوفيّة تربية النفس بقمعها ومخالفة هواها، ومن هنا فقد تركت تلك الحركات الصوفيّة أثرًا كبيرًا في أفكار الناس منذ نشأتها وحتى عصرنا الحاليّ، إلاّ أنّنا لا نستطيع في هذه العجالة أن نتحدّث عن هذه الطرق وأثرها، إنّما سنكتفي هنا بالإشارة إلى طريقة الشيخ عبد السلام الأسمر (الطريقة العروسيّة) بشكلٍ مختصرٍ، وشيءٍ قليل من عصر الشيخ، وتاريخ نشأة الطريقة.

المسألة الأولى: الشيخ عبد السلام الأسمر

لن نخوض في اسم الشيخ ولا في نسبه، ولن نذكر تاريخ حياته المعروف لكلٍّ منا، وهو مجالٌ مستقلٌ من هذا المؤتمر، ولكنّنا سنشير إلى الشيخ عبد السلام كمجدّدٍ حقيقيّ للطريقة الأسمريّة، فنقول: كان الشيخ رحمه الله في حياته صاحب هدفٍ أسمى، ولهذا فلم يكن يوفّر همّة ولا جهدًا في سبيل تحقيق هدفه، ومن هنا فقد كان له أكبر الأثر في نفوس مريديه، وكان لطول مدة حياته ﷺ أثرٌ كبيرٌ في هذا فقد ربّى جيلين كاملين على طريقته في التربية والأخلاق، وأثّر في المجتمعات التي تنقّل فيها وسار إليها تأثيرًا قلّ نظيره في مشايخ الطرق الذين عاصروه.

ترجمة الشيخ

هو الشيخ عبد السلام بن سليم بن سالم بن محمد بن سالم بن حْميدَهْ بن عمران (الشهير

بخليفة) بن مُحَيًّا بن سليمان بن عمران بن أحمد بن خليفة (الملقب بِفَيْتُورْ) بن عبد الله (الشهير بنبيل) بن عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[2].

وقد ولد سيدي عبد السلام الأسمر في زِلِيتِنْ يوم الاثنين ليلة اثني عشر ربيع الأنور سنة (880هـ)، ثم مات والده وتركه ابن سنتين وشهرين، فحفظ القرآن حتى أتمّه في السابعة من عمره وتتلمذ في العلوم على عمّه أحمد، حيث كان ماهراً في العلوم وخصوصاً في العربية وكان أول مشايخه، وكان لا يرضى مفارقة سيدي عبد السلام أبداً[3].

ولما بلغ ﷺ مبلغ أهل العلم والفضل، سار به عمه إلى شيخ من شيوخ التربية والسلوك والتصوف ليأخذ على يديه الطريقة، فكان الشيخ المربي عبد الواحد الدوكالي، فجلس بين يديه، وأقام عنده سبع سنين مُجِدًّا في خدمته ليلاً ونهارًا، حتّى أورثه الله مقام الشيخ الدوكاليّ، فأذن له بإرشاد الناس.

ولم يزل الشيخ رحمه الله تعالى في سبيل نشر العلم عاملاً، وإلى هدي الناس طالبًا، وفي طريق المولى تبارك وتعالى ساعيًا، حتى وافاه الأجل المحتوم في العشر الأواخر من شهر رمضان، سنة (981هـ)، ليلة الجمعة، فبات مُغسَّلا في خلوته، وصُلّيَ عليه بعد صلاة الجمعة، وهذه شهادة له فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إلا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»[4]. وقد دُفن بزاويته المعروفة في زليتن.

وقد انتشر صيته في الآفاق، وأصبحت زليتن مهوى أفئدة كثير من أهل القرآن والعلم والتصوف، ففي زاويتِهِ يُدرَّس القرآن الكريم، والعلوم الشرعيّة منذ حوالي (500) سنة، وفيها يتخَرّجُ الحُفَّاظُ وَالدُّعَاةُ. وقد أُنشِئَت في زاويتِهِ ثانويةٌ شرعيّة وجامعةٌ إسلاميّةٌ باسمه، فيها دراسات أوّليّة ودراسات عليا (ماجستير ودكتوراه).

2- الشيخ من أحفاد سيّدنا رسول الله ﷺ لأمّه وأبيه، ويُنظر في بيان نسب الشيخ من أمّه وأبيه: فتح العليم عن مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر بن سليم، صفحة 9.

3- ينظر في تفاصيل حياته: كتاب تنقيح روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار في مناقب سيّدي عبد السلام الأسمر ﷺ، الصفحات: 77-82.

4- رواه الترمذي (1074)

هـذه نـبذة مختـصرة أحببت أن أعطّر بها هذا البحث في بدايته، لا بقصد استيفاء سـيرة الـشيخ، لكـن لـتكون مدخلاً لهذا البحث. وسأتحدّث هنا عن منهجيتي في اختيار الأوراد والأذكار التي سأجري عليها الدراسة، فأقول:

المسألة الثانية: أذكار الطريقة العروسية

للشيخ عبد السلام أذكار لها تسميات مختلفة:

أولاً: الوظائـف: وهـي أربعـة وظائـف كـان الـشيخ ملازمـا لهـا ويأمـر طلابـه بتلاوتها، لاشتمالها على أذكار كثيرة من السنة، ولكنها ليست هي الورد الرسمي الضروري. أي أن الشخص لو لم يسبحها فلا يقضها، لعدم لزومها:

1. وظيفة الحضرة[5]: ووقت قراءتها كل يوم أحد وخميس بعد العشاء.
2. الوظيفة الأسمرية: وهي التي اختارها الشيخ الأسمر بهذه الصيغ، ووقت قراءتها بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب.
3. الوظـيفة الـزروقية: واسمهـا (سـفينة الـنجا لمن إلى الله التجا)، للشيخ أحمد زرّوق، وأوصـى الـشيخ الأسمر بقراءتها على الدوام في أوقاتها المعلومة عند الشيخ زروق، وهي تُقرأ بعد الصبح وبعد العصر
4. الْوَظِيفَةُ اللَّطِيفِيَّةُ الحِطَّابِيَّةُ: ووقت قراءتها بعد صلاة الصبح.

ثانيا: الأحزاب: للشيخ الأسمر أربعة أحزاب على نهج الإمام أبو الحسن الشاذلي، وهذه الأربع هي:

1. الحزب الكبير، ووقت قراءته بعد العصر.
2. حزب الطمس، ووقت قراءته بعد العصر أيضًا
3. حزب الخوف، ووقت قراءته قبل الفجر وعند السفر.
4. حزب الفلاح والنجاح، ووقت قراءته قبل النوم وعند المصيبة.

ثالثًا: الأوراد اليومية الضرورية: وهي قسمان:

5- تُعرف وظيفة الحضرة باسم: (ورد الحضرة) أو: (الورد السماويّ)، وقد قال سيدي عبد السلام الأسمر في وصيته:(إخواني: فافهموا أن الحضرةَ في الحقيقةِ هي حضورُ القلبِ مع اللهِ تباركَ وتعالَى، وأما في الاصطلاحِ واللغةِ هي السماعُ ، وَيُعَبِّرُونَهُ بالحضرةِ لحضورِ الإخْوَانِ واجتماعهم للذكرِ). انظر: فتح العليم عن مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم، ص 21.

القسمُ الأوَّلُ: وهي ما تُقال مرةً واحدةً في اليوم، وتؤدى في جميعِ أجزاء اليومِ، ووقتها المفضلُ المنصوصُ عليه من بعد صلاة العصر إلى طلوعِ الفجر، وتقضى لأصحاب الأعذار. وهيَ ثلاثةُ أَوراد (هذه فقط للمشتغلين، أيَ غير المتفرغين للذكر):

الوردُ الأولُ: وهو ثلاثُ مائة تسبيحة.

الوردُ الثَّاني: وهو تسعمائة تسبيحة.

الوردُ الثَّالثُ: وهو ألفٌ وستمائة تسبيحة.

القسم الثاني: وهو ما يُكرَّرُ دُبرَ كُلِّ صلاة:

رابعاً: الصلاة على النبيّ ﷺ

هذه جملة الأذكار والأوراد التي أوصى بها الشيخ الفيتوريّ مريديه، والسائرين إلى الله على طريقته، وهي أذكار كثيرة تتجاوز في عدد صفحاتها هذا البحث بمرّتين على الأقلّ، ومن هنا كان لا بدّ من منهجيّة معيّنةٍ لدراسة هذه الأوراد، وقد اتّبعنا في ذلك المنهجيّة التالية:

أخذنا من كلّ وردٍ من هذه الأوراد (وظيفتي: الحضرة والأسمرية، والأحزاب الأربعة، والأوراد اليوميّة المكررة وغير المكرّرة) ذكرين اثنين، بحيث يكون أوّلهما أوّل ذكر في هذه الأوراد، وثانيهما آخر ذكر فيها، لنتبيّن من خلال هذه الدراسة الموجزة ما كان عليه الشيخ من تتبّع الأذكار الواردة في الكتاب والسنّة النبويّة المطهرة، وما هي الحجّة في بعض الأذكار غير الواردة، وكيف يتمّ التعامل معها.

وسنتوكّل على الله تعالى في هذه الدراسة لنقسم حديثنا حول هذه الأذكار إلى مطلبين يكون أحدهما ثاني مطالب هذا البحث في الأذكار الواردة في الكتاب والسنة، ومدى صحّة هذه الأذكار، ويكون ثانيهما ثالث مطالب هذا البحث في الأذكار التي لم ترد في الكتاب والسنة، وطريقة التعامل مع هذه الأذكار.

المطلب الثاني: الأذكار الواردة في الكتاب أو السنة، ومدى صحّتها

تمهيد

قلنا فيما سبق إنّنا سنختار من كلّ ذكرٍ من أذكار الطريقة العروسيّة أوّلها وآخرها لتكون هذه الدراسة مركّزة عليها.

الأذكار محلّ الدراسة: (الأحزاب والوظائف والأوراد)[6]

للشيخ الأسمر الفيتوري أربعة أحزاب على نهج الإمام أبو الحسن الشاذلي، وهذه الأربع هي: الكبير، الطمس، الخوف، الفلاح. كما أن له وظيفتين خاصّتين به، أوّلهما: وظيفة الحضرة، والثانية الوظيفة الأسمريّة. وقد استثنينا الوظيفة الزروقية والوظيفة اللطيفيّةُ الحطَّابيَّةُ من الدراسة، وذلك لسببين:

السبب الأوّل: أنهما في جملتهما آيات وصلوات على النبيّ ﷺ، وهذه سيأتي الحديث عنها مراراً في حديثنا عن الأذكار الأخرى، وصيغ الصلاة على النبيّ ﷺ تحتاج إلى بحثّ مستقلٍ، نسأل الله أن يعين عليه.

السبب الثاني: أنّ هاتين الوظيفتين ليستا من كلام الشيخ، وإن كان يوصي بهما تلاميذه، فلا ينبغي أن نشملهما بدراستنا لأوراد الشيخ الأسمر رضي الله عنه.

وأما الصلوات الواردة فقد نفرد لها بحثًا آخر إن يسّر الله تعالى ذلك. وسنشرع إن شاء الله تعالى في المقصود وهو بيان ما ورد من هذه الأذكار وما لم يرد، وكيفيّة التعامل مع ما لم يرد منها في الكتاب والسنّة.

الأذكار الواردة في الكتاب أو السنّة

أوّلاً: الأحزاب

1. الحزب الكبير

أوله: يَا جَبَّارُ يَا مُتَكَبِّرُ يَا قَهَّارُ يَا مُصَوِّرُ يَا نَاصِرُ. وأداة النداء (يا) تستخدم للبعيد والقريب، لكنّ الله سبحانه لا يُنادى إلا بها[7]، وذلك لأنّه سبحانه قريب[8]، كما أخبر

6- يُنظر في معرفة أوراد الطريقة العروسيّة فتح العليم عن مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم، للشيخ مفتاح فرج محمد الفيتوري، الصفحات من 21 إلى 23، والوظائف الثلاث: (الأسمريّة، الزرّوقيّة، الحطّابيّة)، نشر مكتبة النجاح، طرابلس، وكذلك تحفة الأقلام على وظيفة الشيخ سيّدي عبد السلام، لإبراهيم بن عبد الكريم بن إبراهيم التومي.

7- يُنظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، (باب الألف اللينة، كتاب الياء) مادة: (يا).

8- المقصود بقربه سبحانه: قرب رحمته أو غضبه نسأل الله السلامة، لا قرب مكانه، فإنّه سبحانه منزّهٌ عن الحلول في مكان، (لا تحويه الجهات الستّ كسائر المبتدعات). انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي الميداني الدمشقي، طبعة دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة الثانية، 1982، ص 74-75.

فقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

ومـن آداب الدعاء خفض الصّوت بين المخافتة والجهر لقوله عزّ وجلّ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55]، ولما روي أنّ أبا موسى الأشعريّ قال: «قدمنا مع رسـول اللّـه فلمّـا دنونا من المدينة كبّر، وكبّر النّاس ورفعوا أصواتهم، فقال النّبيّ ﷺ: يا أيّهـا الـنّاس: اربعوا على أنفسكم، إنّكم ليس تدعون أصمّ ولا غائباً، إنّكم تدعون سميعاً قـريباً، والّذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم»[9] وقالت عائشة رضي الله عـنها في قـوله عـزّ وجـلّ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسـراء: 110] أي بـدعائك، وقد أثنى اللّه عزّ وجلّ على نبيّه زكريّا عليه السلام حيث قال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3]. ولذلك استخدم النبيّ ﷺ أداة النداء في الدعاء كثيراً فقال: «يا ذا الجلال والإكرام»[10]

وكان من وصاياه ﷺ لأمّته: «أَلِظّوا بِيَاذَا الْجَلَالِ والإِكْرَام»[11]، وكان من دعائه ﷺ: «اللـهم يـا ذا الحـبل الـشديد، والأمـر الرشيد، أسألكَ الأَمن يوم الوعيد»[12]، وكان ممّا يقـوله بعد الصلاة، ﷺ: «يَا حَيّ يَا قَيّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[13]، وكان ممّا يدعو به ﷺ، أنّـه كـان يقـول: «يـا قَـدِيمَ الإِحْـسان! يـا مَـنْ إِحْـسانُهُ فَوْقَ كُلِّ إِحْسان! يا مالِكَ الدُّنْيا والآخِـرَةِ! يا حَيّ يا قَيُّومَ! يا ذَا الجَلالِ والإِكْرَام! يا مَنْ لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ وَلا يَتَعاظَمُهُ!»[14]، وكـان من دعائه عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «أسأَلُكَ يا اللَّهُ يا رحمنُ بجلالكَ ونورِ وجهكَ أَنْ تُلزِمَ قلبي حِفظَ كِتابِكَ»[15]

وغيرها من صيغ النداء التي وردت في الأحاديث النبويّة الشريفة، وهذا يدلّ على

9- حديث متفق عليه رواه البخاريّ في كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير برقم (2830)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: 2704

10- صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم (591)

11- الترمذي: كتاب الدعوات عَن رَسُولِ الله ﷺ، برقم: 3662

12- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، 113/2.

13- الترمذي: كتاب الدعوات عَن رَسُولِ الله ﷺ برقم: 3662

14- الأذكار النووية، للإمام النووي، كتاب أذكار الجهاد، بابُ الدعاء والتضرّع والتكبير عند القتال واستنجاز اللّه ما وعد من نصر المؤمنين، برقم (9/508)

15- الترمذي، أبواب الدعوات عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بابٌ في دعاءِ الحِفْظِ، برقم: (3641)

جواز استعمال حرف النداء (يا) في الدعاء مطلقًا، وهو ما فعله الشيخ الأسمر مراراً في وظيفته وأوراده اليوميّة وغيرها.

والدعاء بهذه الأسماء على سبيل الطلب من سؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته، وهو من أنواع التوسّل التي حثّ عليها القرءان الكريم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: 110]. ويقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: 8]، ويقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180]. ويقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28].

وقد ترجم البخاريّ في كتاب الدَّعَوَاتِ، باب: (لِلَّهِ مِائَةُ اسْمٍ غَيْرَ وَاحِدٍ)، فأخرج فيه حديث: « إن لله تسعة وتسعين اسمًا ... » ممّا يدلّ أيضًا على مشروعيّة الدعاء بالأسماء والصفات. يقول الإمام الفيتوريّ: « أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِعِزِّكَ وَجَلَالِكَ، وَبَهَائِكَ وَكَمَالِكَ ... ويتابع سؤالاته بأسماء الله الحسنى وصفاته، إلى أن يقول: اللَّهُمَّ أَنْ تَجْعَلَنَا فِي مَكْنُونِ حِفْظِكَ وَعَافِيَتِكَ وَهَيْبَتِكَ، يَا اللهُ يَا اللهُ يَا اللهُ »[16].

والدعاء بجعل الله تعالى العبد في حفظه مطلوب مأثور، وكذلك الدعاء بالعافية، وكذلك الدعاء بالخوف من الله سبحانه ومهابته، وأمّا الذكر بالاسم المفرد « يا الله يا الله يا الله » فهو ممّا سنعلّق عليه هنا أيضًا، وها نحن ندلّل على كلّ واحدةٍ منها باختصار:

أما الدعاء بالحفظ، فمنه ما حكاه ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، حيث كان يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: « اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي »[17].

وعن ابن مسعود ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ كان يدعو: « اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا، واحفظني بالإسلام راقدا، ولا تشمت بي عدوا حاسدا ... ح »[18].

16- انظر: فتح العليم عن مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر بن سليم، للشيخ مفتاح الفيتوري، ص 30.

17- المستدرك للحاكم كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، برقم (1902)، وهو في سنن أبي داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (5066).

18- سنن النسائيّ، كتاب الاستعاذة باب: الاستعاذة من الخسف، برقم (2258)، وأبي داوود في كتاب =

المستدرك للحاكم، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، برقم (1924)، وقال: هو صحيح على شرط البخاريّ. ودعاء الإنسان بالحفظ دعاء لنفسه ألا يقع في محظور، وذلك مصداق قوله ﷺ: «احفظ الله يحفظك ... ح»[19]

وأما الدعاء بالعافية، فمنه كانَ الرّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلّمَهُ النّبِيّ ﷺ الصّلاَةَ. ثُمّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَـؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ: «اللّهُـمّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي»[20]، وقد علّم النبيّ ﷺ أصحابه هذا الدعاء: «اللّهُمّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي»[21]، وقال الحسن بن علي: «علّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهنّ في الوتر: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ... ح»[22]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول: اللَّهمَّ عافِني في جَسدي، وعافِني في بَصري ... ح»[23].

وأما الدعاء بالهيبة من الله وخشيته فمنه قوله ﷺ: «اللّهُمّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعَاصِيكَ ... ح»[24]، وقوله: «اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ... ح»[25]. وقوله: «اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ... ح»[26]. وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللّبَنُ فِي الضّرْعِ ... ح»[27].

وأما النداء بلفظ الجلالة، فقد ورد عن النبيّ ﷺ، أنّه كان يقول: «أسألك يا الله أن

=
الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم (5068)، وغيرهما.

19- الترمذيّ في كتاب صِفَةُ القِيامَة والرقائق والورع عن رَسُولِ الله ﷺ، باب صفة القيامة، برقم (2635) وأخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب معرفة الصحابة ﷺ، باب ذكر: عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، برقم (6303).

20- صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (2696).

21- صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (2697).

22- الترمذيّ في كتاب الوتر، بَابُ مَا جَاءَ في القُنُوتِ في الوِترِ، برقم: (463). وهو في سنن أبي داود في كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، برقم: (1424).

23- الترمذي في: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، برقم: (3547).

24- الترمذيّ في: كتاب الدعوات عَن رَسُولِ الله ﷺ، برقم: (3637).

25- المستدرك للحاكم، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، برقم: (1923).

26- كنز العمال للمتقي الهندي، كتاب جوامع الأدعية، برقم: (3648)

27- الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاءَ في فَضْلِ الغُبَارِ في سبيلِ الله، برقم: (1637).

لا تشوي خلقي بالنار ... ح»[28]. وكلمة «اللهم» تعني في العربية: «يا الله»[29].

وآخر الحزب الكبير: «أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُعَافِينَا»[30]. وقد ورد الدعاء بهذه الصيغة مقرونا بالشفاء فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبّ الْعَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاّ عُوفِيَ»[31].

2. حزب الطمس

أوّله: «يَا اللهُ، يَا قُدُّوسُ، يَا وَدُودُ، يَا شَكُورُ، يَا قَابِضُ يَا بَاسِطُ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[32]. الحديث في هذه الأسماء والمناداة والدعاء بها كالحديث فيما سبق فلا داعي لإعادته هنا، وسيأتي موضوع اختيار هذه الأسماء دون غيرها من قِبَلِ الشيخ، في المطلب الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وآخره: اللَّهُمَّ احْفَظْنَا، وَاجْعَلْ عَلَيْنَا سُوراً دَائِراً بِنَا، كَمَا دَارَ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ-عليه الصلاةُ والسلامُ- وَأَلْجِمْ عَنَّا كُلَّ مُتَمَرِّدٍ وَمُعَانِدٍ، وَفَاجِرٍ وَسَاحِرٍ وَمُخَالِفٍ.

روى الهيثميّ في مجمع الزوائد، عن أنس ﷺ أنّه قال: «كنا إذا دعونا قلنا: اللهم اجعل علينا صلاة قوم أبرار ... ح»[33]، وأما قوله: «وَأَلْجِمْ عَنَّا كُلَّ مُتَمَرِّدٍ وَمُعَانِدٍ، وَفَاجِرٍ وَسَاحِرٍ وَمُخَالِفٍ»[34]، الإلجام، هو: المنع من الوصول[35]، والمتمرّد، هو: الشيطان المارد، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات: 7].

28- الحاكم في المستدرك، كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، برقم: (1998).

29- لسان العرب لابن منظور مادة (أله)، وقال: ولذلك لم يقل من العرب أحد: (يا اللهم) إلا شذوذًا، لأنّ كلمة اللهم تشتمل على أداة النداء (يا).

30- يُنظر الحزب الكبير في: تنقيح روضة الأزهار، للشيخ عبد الكريم البراموني، ص 195-199.

31- الترمذي في: كتاب الطبّ عن رسول الله ﷺ، برقم: (2105)، وهو في المستدرك في كتاب الرقى والتمائم، برقم: (8282)، وقال صحيح على شرط الشيخين.

32- يُنظر في هذا الذكر فتح العليم، للشيخ الفيتوري، ص 34.

33- في كتاب الأدعية، باب أدعية الصحابة ﷺ، برقم 17430 ومن هنا أخذ الشيخ دعاءه «اللهم اجعل علينا سوراً دائرا بنا».

34- يُنظر: فتح العليم، للشيخ الفيتوريّ، ص 34.

35- لسان العرب، لابن منظور، مادة (لجم).

والمعاند، هو: العَنِيد: الجائر عن القَصْد، الباغِي الذي يَرُدّ الحق مع العِلْم به، وقد حذّر الله تعالى العنيد من أنّ مصيره إلى النار، إذ قال: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: 24]، وقال: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15]. والفاجر، هو: من شقّ ستر الديانة(36). قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: 7]، ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: 14] ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: 42]، ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [القيامة: 5]، أي: يريد الحياة ليتعاطى الفجور.

وقولهم: «ونخلع ونترك من يفجرك»(37) أي: من يكذبك. وكذلك الاستعاذة بالله من الساحر مطلوبة، فقد ذمّ الله تعالى في القرءان الكريم السحر وأهله، وفعلهم، وبيّن أنّ كيده لا يمكن أن يكون مفلحًا، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: 69]. فحقّ للإنسان أن يستعيذ من شرور هؤلاء.

3. حزب الخوف

أوله: «يَا اللهُ، يا حفيظُ، يا عليُّ، يا عليمُ، يا قويُّ، يا حليمُ» ويتابع صفات الله تعالى، إلى أن يقول: «عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ، وَاحْفَظْنِي بِحِفْظِكَ، وَنَجِّنِي مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَاسْقِنِي مِنْ كُؤُوسِ الْوِصَالِ، وَمِنْ شَرَابِ الصُّوفِيَّةِ، فِي الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ، بَيْنَ سَادَتِي وَأَحِبَّتِي»(38).

وقد ذكرنا ما في النداء والدعاء بأسماء الله الحسنى فيما سبق، وسنشير إلى سبب اختيار هذه الأسماء الحسنى للسؤال بها دون غيرها في المطلب الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى. وأمّا الطلب بأن يعلّمه الله من علمه، فقد قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: 65]. وطلب الحفظ مرّ معنا.

والنجاة من الضلالة والجهالة، يتضمنها قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: 6-7]. وأما قوله: «واسقني من

36- مفردات القرءان للراغب الأصفهاني 1/ 347

37- هذا من دعاء القنوت في الوتر، وهذا الدعاء مما رُفِعَ رسمُهُ من القرآن، ولم يُرفع من القلوب حفظه. يُنظر: مفردات القرءان للراغب الأصفهاني 1/ 347. وانظر أيضًا: (النهاية لابن الأثير 414/3؛ والإتقان 34/2؛ والفائق 90/3؛ ومصنف ابن أبي شيبة 106/3) نقلاً عنه.

38- يُنظر حزب الخوف في: فتح العليم، للشيخ الفيتوريّ، ص 36.

كـؤوس الوصال، ومن شراب الصوفيّة، في الحضرة العليّة، بين سادتي وأحبّتي »[39] فهو من الدعاء بغير المأثور وسنأتي إلى ما فيه في المطلب الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

آخـر حـزب الخوف: « اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا نَاصِرًا، وَحَافِظًا، وَمُعِينًا، يَـا رَبَّ الْعَالَمِينَ »، ثـمّ يذكـر جملـة مـن الآيـات القرءانيّة. قد مرّ بنا أنّ طلب النصرة من الله تبارك وتعالى والحفظ والعون، ممّا ورد في القرءان الكريم، وما أُثر عن النبيّ ﷺ بلفظه أو معناه.

4. حزب الفلاح والنجاح

أولـه: بعد البسملة والصلاة على سيّدنا رسول الله: الاستعاذة[40]، ثمّ يقول: « يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، يا رَبَّ الأَرْبَابِ يَا مَنْ خَلَقَ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ »[41]. وقد ذكرنا ما في النداء من كـونه مقبولاً مأثورًا، وكذلك ذكرنا أنّ الدعاء بالاسم المفرد « يا الله » مقبول وارد مأثور. وأمّا قوله: « يا رب الأرباب، يا من خلق آدم من التراب » فهو دعاء بغير المأثور وسنأتي إلى ما فيه في المطلب الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى[42].

وآخـر حـزب الفـلاح والـنجاح: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالصِّفَاتِ الْعُلَى، وَبِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى، أَنْ تَحْفَظَنَا، وَتَحْفَظَ ذُرِّيَّتَنَا، وَفُقَرَاءَنَا، وَأَحْبَابَنَا، وَأَهْلَ حِزْبِنَا، وَكُلَّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَيْنَا، وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ » [43]. والدعاء بالأسماء والصفات ممّا مرّ بنا أنّه من التوسّل المشروع المطلوب. وقد بيّنّا كون طلب الحفظ مأثورًا.

وأمّا طلب حفظ الذريّة، وحفظ الفقراء، والأحباب وأهل الحزب (الذين يقرأونه)، والمنتـسبين إلى الـشيخ الأسمـر وطـريقته، والدعاء لهم بالرحمة جميعًا من باب تعميم الـدعاء وهو مطلوب مأثور، مستحبّ لقوله ﷺ لعليّ كرّم اللّه وجهه: « يا عليّ عمّم »[44].

39- يُنظر في: فتح العليم، للشيخ الفيتوريّ، ص 36.

40- عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: (اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهـمزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ) رواه ابن ماجه في سننه، برقم: (800)، وأحمد بن حنبل في المسند، برقم: (3638)

41- يُنظر حزب الفلاح والنجاح في فتح العليم، للشيخ مفتاح الفيتوريّ، ص 37.

42- صفحة 21 من هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

43- ينظر الحزب في: فتح العليم، للشيخ الفيتوري، ص 37.

44- لم أعثر عليه فيما بين يديّ من مصادر حديثيّة، وهو في الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة، (دعاء) 20/ 265. وقد ذكره صاحب كشاف القناع، طبعة دار الرسالة 365/1.

ولحديث: «من صلّى صلاةً لم يدعُ فيها للمؤمنين والمؤمنات فهي خداج»[45]. وفي حديث آخر: «أنّه ﷺ سمع رجلاً يقول: اللّهمّ اغفر لي، فقال: ويحك لو عمّمت لاستجيب لك»[46]

وفي رواية أنه ﷺ مر ذات يوم على ذي الخويصرة التميمي فسمعه يقول: اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا تشرك معنا أحدا فضرب منكبه وقال: «لقد ضيقت واسعا يا أخا العرب عمم عمم فإن بين الدعاء العام والخاص كما بين السماء والأرض»[47].

على أنّ تعميم الدعاء من الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وهو من المأثور المطلوب، فإنّ فائدته وثوابه تتعدّى المدعوّ له إلى الداعي نفسه، فإنّه كما أخبر النبيّ ﷺ يصل للداعي مثل ما دعى لأخيه: فعن أبي الدّرداء قال: قال رسولُ الله: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلاّ قال الملك: ولك، بِمِثلٍ»[48]

ثانيًا: الوظائف

للشيخ الأسمر وظيفتان خاصّتان به، أوّلهما: وظيفة الحضرة، والثانية الوظيفة الأسمريّة:

1. وظيفة الحضرة[49]

أولها: بعد الاستعاذة والبسملة والصلاة على النبيّ ﷺ، تُقرأُ بعض السور، ثمّ

45- ميزان الاعتدال، للذهبيّ (276/4)، والحديث ضعيف، يرويه بعضهم في الموضوعات، لكن يُستدلّ به هنا لموافقته للصحيح، وعدم معارضته لشيء من أصول الدين ولا فروعه، ولعدم معارضته لأحاديث أخرى صحيحة أو حسنة أو ضعيفة.

46- ليس في شيء من مصادر الحديث التي بين يديّ، وهو في حاشية ابن عابدين (119/4)

47- حاشية الجمل على شرح المنهاج حاشية الجمل على (المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري) للعلامة الشيخ سليمان الجمل دار النشر، دار الفكر، بيروت (350/2).

48- رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، برقم: (2732)

49- قال سيدي عبد السلام الأسمر في وصيته: (إخواني: فافهموا أن الحضرةَ في الحقيقةِ هي حضورُ القلبِ مع اللهِ تباركَ وتعالَى، وأما في الاصطلاحِ واللغةِ هي السماعُ، ويُعَبِّرونَهُ بالحضرةِ لحضورِ الإخْوَانِ واجتماعهم للذكرِ). ينظر: الوصيّة الكبرى، للقطب الربانيّ العارف بالله الإمام الشيخ سيّدي عبد السَلام الأسمر الفيتوريّ، قدّس سرّه، نشر مكتبة النجاح، طرابلس الغرب، ليبيا، ص 43.

يقول: سُبْحَانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولاَ إلهَ إلاَّ اللهُ واللهُ أَكبرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ[50]. وهذه الصيغة من التسبيح واردة مأثورة بجملتها، فقد ورد أنّ النبيّ ﷺ كان يقولها، ومن ذلك: ما روي عن سمرة بن جندب ﷺ، قال: قال رسول اللّه ﷺ: « أحَبُّ الكَلامِ إلى اللَّهِ تَعالى أرْبَعٌ: سُبْحانَ اللَّهِ، والحَمْدُ لِلَّهِ، ولاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أكْبَرُ ... ح »[51]، وقد جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: إنّي لا أستطيع أن آخذ شيئًا من القرآن فعلّمني شيئًا يجزئني من القرآن، فقال: « قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله »[52]

آخرها: يَا ذَا الْجَلال وَالإكْرَام وَالْعِزَّةِ الْقَاهِرَةِ، ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ثلاث مرات، ثمّ يصلّي على النبيّ ﷺ. أمّا الدعاء بالتثبيت فقد أخبر الله سبحانه أنّه يثبّت المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: 27]. فالدعاء بالتثبيت مطلوب شرعًا، لأنّ كلّ ما وعد الله به المؤمنين فقد طالبهم بالدعاء به، ليكون لهم في الحياة الدنيا أو في الآخرة، ومن هنا فقد طولبنا بالدعاء بالجنّة، وبالفردوس الأعلى كما هو ثابت مشهور.

2. الوظيفة (الأسمريّة)[53]

أولها بعد الاستعاذة والبسملة، والآيات الثلاث الأولى من بداية سورة الأنعام: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[54]، أَسْتَغْفِرُ اللهَ[55]، أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ الْحَيَّ

50- يُنظر في وظيفة الحضرة: فتح العليم، للشيخ مفتاح الفيتوريّ، ص 40.

51- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وبنافع ونحوه، برقم: (2137).

52- رواه النسائي في السنن، برقم: (915)، وأبو داود في سننه، برقم: (708)، وابن ماجه في سننه، برقم: (3797)

53- تنظر الوظيفة الأسمريّة في: الوظائف الثلاث، جمع مكتبة النجاح، طرابلس، الصفحات من 3 إلى 9.

54- قال رسول الله ﷺ: « وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً » رواه أحمد في مسنده، برقم: (7670).

55- عن ثوْبَانَ قال كان رسولُ الله ﷺ: « إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا » رواه مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم: (591)، وأحمد في مسنده، في مسند ثوبان ﷺ، برقم: (21374)، والاستغفار بعد الصلاة إنما يكون لما قد يحدث في الصلاة من تقصير.

الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْه(56). وهذه الصيغة من الحمد والاستغفار من الصيغ التي سبق الحديث عنها، وهي من الصيغ المأثورة عن النبيّ ﷺ.

آخر الوظيفة الأسمريّة: سُبْحَانَ الله الْعَظِيم وَبِحَمْده(57)؛ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنْـتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُـوبُ إِلَيْكَ(58). أمّا قوله: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»، فهو مأثور عن النبيّ ﷺ، فقد روي عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنّه قال: قال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرَّحمن خفيفتان على اللِّسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(59). وأمّا قوله: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنْـتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فهو واردٌ عن النبيّ ﷺ، وقد سمّاه بعض العلماء (كفارة المجلس) لما ورد عن أبي هريرة ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «من جلس في مَجْلِسٍ فَكثُرَ فيه لَغَطُهُ؟ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسه ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلاّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»(60).

ولم يكن ﷺ يقوم من مجلس حتى يقول هذه الكلمات: «سبحانك اللهم ربي، وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»(61). وهذه الكلمات تُقال في نهاية هذه الوظيفة، فهي أشبه ما تكون بكفارة المجلس.

ثالثًا: الأوراد اليومية الضرورية

وهي قسمان:

القسمُ الأوَّلُ: وهي ما تُكَرَّرُ مرةً واحدةً في اليومِ

وهي ثلاثة أوراد: سماها الشيخ «ورد المتجردين، وورد الطلبة والفقهاء والمشتغلين بتعليم العلم ...، وورد أصحاب الفلاحة والاشتغال»، وسنختار الورد الأوّل منها، وذلك لأنّ

56- قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ» رواه الترمذي في سننه، برقم (3501)، وأبو داود في سننه، برقم (1296).

57- التسبيح كلّه مأثور، وهذه الصيغة من الصيغ المأثورة أيضًا.

58- تنظر الوظيفة الأسمريّة في: الوظائف الثلاث، جمع مكتبة النجاح، طرابلس، الصفحات من 3 إلى 9.

59- رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح، برقم (6043)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: 2694

60- الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عَن رَسُولِ الله ﷺ، باب مَا يَقُولُ إذَا قَامَ مِنْ المَجْلِس، برقم: (3562)

61- الحاكم في المستدرك في كتاب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، والذكر، برقم: (1827).

الفروق بينه وبين غيره تكاد تكون محصورة في الأعداد، أو التكرارات[62].

الورد الأول: وهو ثلاث مائة تسبيحة، يشمل الاستغفار، فيقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاَّ هو الحيَّ القيُّوم وأتوب إليه (100) مرةٍ، ثم تقول: الحمدُ لله (3) مرات[63]، أما الاستغفار، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغنّ على قلبي فإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة»[64]، وعن حذيفة ﷺ قال: كان في لساني ذربٌ على أهلي ولم يكن يعدهم إلى غيرهم، فسألت النبيَّ ﷺ فقال: «أين أنت عن الاستغفار إنِّي لأستغفر الله كلَّ يوم مائة مرة»[65]. وأما الحمد قال رسول الله ﷺ: «أفضل الدعاء الحمد لله»[66]. وقال عليه الصلاة والسلام: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ»[67]، كما يشمل الصلاة على سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ رسول اللهِ ﷺ. ويشمل التهليل أيضًا، بصيغة: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ (300) مرة، ثم تقول: الحمد لله (3) مرات.

ثم يختم بقوله: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلِوَالِدِيَّ وَلِجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ (27) مرة. قال رسول الله ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض»[68].

ومن الأوراد التي تكرَّر كلَّ يوم مرَّةً واحدةً قراءة القرءان الكريم، فَتَقْرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِزْبًا مِنَ الْقُرْءَانِ الْكَرِيم، وَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تُكْثِرَ فَأَكْثِرْ عَلَى حَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ. وقراءة القرءان الكريم ممّا ندب إليه الحبيب الأعظم ﷺ، إذ قال: «من قرأ بمائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين»[69]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «من قرأ في ليلة

62- تنظر هذه التسميات في: تنقيح روضة الأزهار، للشيخ كريم الدين البرموني، ص 184-187.

63- يُنظر هذا الورد والأوراد الأخرى في تنقيح روضة الأزهار، للشيخ كريم الدين البرموني، ص 184-187، والطريقة العروسيّة، للشيخ محمّد العجيليّ، مخطوط، ص 44.

64- رواه أحمد في مسنده، برقم: (17174).

65- رواه الدارمي في سننه، برقم: (2607).

66- رواه الترمذي في سننه، برقم: (3305)، وابن ماجه في سننه، برقم: (3790).

67- رواه ابن ماجه في سننه، برقم: (3795).

68- أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، برقم: (8446).

69- رواه الدارمي برقم: (3448)، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير، برقم: (8950).

بعشر آيات لم يكتب من الغافلين»[70].

القسم الثاني: وهو ما يُكَرَّرُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ

أولـه: «الْحَمْـدُ للهِ رَبِّ العـالمينَ، أستغفرُ الله، أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحيَّ القيُّومَ وأتوب إليه». والاستغفار بعد الصلاة مأثور، فعن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ «إذا انـصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللهمَّ أنت السَّلام ومنك السَّلام تباركت يا ذا الجـلال والإكـرام» قال الوليد فقلت للأوزاعِيِّ: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أسـتغفر الله»[71]، وفي خاتمـته: «سُـبْحَانَ اللهِ الْعَظِـيمِ وَبِحَمْـدِه؛ سُـبْحَانَكَ اللَّهُـمَّ وَبِحَمْـدِكَ، أَشْـهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». وعن أبي هريرة ﷺ قال: قـال الـنبيّ ﷺ: «كلمـتانِ حَبيبـتان إلى الرَّحمن خفيفتانِ على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[72].

وهذه الأذكار كلّها (التي تُقال مرّة في اليوم أو التي تكرّر دبر كلّ صلاةٍ) فيها من الاسـتغفار والـدعاء والتهلـيل والتـسبيح، وقد سبقت الإشارة إلى هذه كلّها فيما سبق، فلا داعـي لإعادتـه هـنا. كمـا أنّهـا تحـوي أعدادًا للتكرار، وسنشير إلى موضوع الأعداد في المطلب الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ممّا اخترناه نلاحظ وبنظرة سريعة أنّ جملة أذكار الطريقة العروسيّة ممّا ورد في الكتاب والسنّة، علمًا أنّنا قد أغفلنا ذكر الآيات الواردة في البداية والختام، فذكرنا ما قبلها في الخـتام ومـا بعـدها في الـبداية، كما أنّنا لم نذكر صيغ الصلاة على النبيّ ﷺ، لا التي وردت في الأوراد والأذكـار، ولا الـتي أتـت في صـيغ الصلاة على النبيّ ﷺ، وإنّما نظرنا فقـط في الأذكـار الـتي وجـدت في هـذه الأوراد من غير آيات القرءان الكريم أو الصلاة علـى سيّدنا رسول الله، وهذا أمر يعرفه كلّ من اطّلع على أوراد الطريقة العـروسيّة، ومع هـذا فإنّـنا نلاحـظ أنّ ما تزيد نسبته على تسعين بالمائة من هذه الأوراد (بعد الاستقصاء والـبحث) ممّـا ورد في اختياراتـنا ممّـا هـو وارد في الكـتاب أو الـسنّة، وفي هـذا دلالة واضـحة علـى أنّ الـشيخ الأسمر لم يكن مبتدعًا يبحث عن الشاذّات، ولم يكن يريد أن

70- رواه الدارمي، برقم: (3445).

71- رواه مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وصفته، برقم: (591).

72- الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح، برقم (6043)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم: (2694).

يخرج على الكتاب أو السنّة، ولم يكن إنسانًا بسيطًا كذلك لا يعرف ما هو واردٌ، وما لم يرد، بل كان عالمًا بما ورد، باحثًا عن الحقّ، متتبّعًا للصيغ الواردة من الأذكار النبويّة الشريفة، حريصًا على أن يكون أتباعه كذلك متتبعين لسنّة الحبيب الأعظم ﷺ.

المطلب الثالث: الأوراد التي لم ترد في الكتاب أو السنّة

سنشرع إن شاء الله تعالى في بيان ما لم يرد من هذه الأذكار في الكتاب أو السنّة، وكيفيّة التعامل معه.

أوراد الطريقة العروسيّة التي لم ترد في الكتاب أو السنّة تنقسم إلى نوعين:
النوع الأوّل: أوراد لم ترد بصيغتها.
النوع الثاني: أوراد لم ترد بأعدادها.

وسنناقش كلّ واحدٍ من هذين النوعين في مسألة مستقلّة.

المسألة الأولى: الأوراد التي لم ترد بصيغتها في الكتاب أو السنّة

أمّا الأوراد التي لم ترد بصيغتها في الكتاب أو السنّة، فهي وإن كانت نادرةً في العيّنة التي أخذناها من أوراد الطريقة العروسيّة، إلاّ أنّها موجودة فيها، وهذه الأوراد إمّا أن تكون تسبيحات وحمداً لله وتهليلاً وتكبيراً، وإمّا أن تكون دعاءً.

أولاً: الأذكار بصيغة غير الصورة الواردة

وهذه الأذكار التي تشمل التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير إنّما هي من ذكر الله تعالى الذي أمر بفعله سبحانه كثيراً، حينما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 41-42]، وما أمر الله سبحانه بفعله كثيراً، لا يمكن أن تكون بعض صيغه محرّمة، بل لفظ الكثير يدلّ على إباحة الذكر بكلّ أنواعه، ومن هنا فإنّ كلّ ذكر لم ترد صيغته في القرءان الكريم أو السنّة النبويّة المطهّرة فهو مشمول بالأمر الإلهي، ولا يمكن القول: إنّ هذه الصيغة لم ترد.

كما أنّ الصيغ غير الواردة قد ورد اختراعها من قبل بعض الصحابة ﷺ، فقد حدث أيّام النبيّ ﷺ صياغة بعض الأذكار التي لم يقلها النبيّ ﷺ، وأقرّ عليه فاعله من الصحابة ﷺ، ومما روي عنهم في ذلك:

1. عن رفاعة بن رافع الزرقي ﷺ، قال: «كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه

من الركعة، قال: سمع الله لمن حمده. قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدا طيبا مباركا فيه. فلما انصرف، قال: من المتكلم. قال: أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها، أيهم يكتبها أول»(73).

2. وعن ابن عمرَ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً. وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً. وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وكَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: عَجِبْتُ لَهَا. فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السّمَاءِ»(74).

3. وقد ورد هذا من فعل بعض الصحابة ﷺ، فقد روي عن ابن عمر ﷺ أنّه قال: «من قال دبر كل صلاة وإذا أخذ مضجعه: الله أكبر كبيرا عدد الشفع والوتر، وكلمات الله التامات والطيبات المباركات ثلاثا، ولا إله إلا الله مثل ذلك كن له في قبره نورا، وعلى الجسر نورا، وعلى الصراط نورا حتى يُدْخِلْنَهُ الجنَّةَ»(75).

وكذلك من الأدلّة على جواز الذكر بالوارد وغيره أنّ الله تعالى لم يحدّد الآيات التي يجب أن تُقرأ في القرءان الكريم، وقراءة القرءان من الذكر، والله سبحانه لم يُلزم الناس بذكرٍ معيّنٍ، بل أباح أيّ شيءٍ من القرءان في كلّ صلاةٍ. وفي هذا إشارة إلى إباحة أنواع الذكرٍ كلّها ما كانت صيغته واردة وما كانت صيغته غير واردة.

من هذه الأمثلة يتبيّن أنّ الذكر وإن كان بصيغة لم ترد عن المشرّع سبحانه وتعالى ولا عن رسوله عليه وآله الصلاة والسلام فإنّها تُعدّ مقبولة، ما دامت مندرجةً في إطار الذكر، وما دامت واقعة في حيّز القبول العام، وعدم معارضتها للمشروع الوارد.

ثانيًا: الدعاء بصيغة غير الصيغة الواردة

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: 186]. وهذه الآية تُشير إلى أن الله تبارك وتعالى يجيب دعوة كلّ داعٍ إذا دعاه أيًّا كانت الدعوة، سواءٌ أكانت واردة أم لا. وفي الروايات التي سبق ذكرها في الذكر بصيغ غير واردة كفاية وغناءٌ عن إعادتها هنا، فهي تدلّ على أنّ الدعاء

73- رواه البخاريّ في كتاب صفة الصلاة، باب: فضل اللهم ربنا ولك الحمد، برقم (766)، واللفظ له، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم (762)

74- رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم (601).

75- كنز العمال للمتقي الهندي، باب أدعية بعد الصلاة، برقم: (4967)، قال: (وسنده حسن).

بـأيّ صيغةٍ وإن لم تكن واردةً مقبولٌ أيضًا، وذلك لأنّ الدعاء أحد أنواع الذكر، فذكر الله سبحانه كما يشمل الاستغفار والتهليل والتسبيح، يندرج فيه الصلاة على النبيّ ﷺ والدعاء، فكلّه ذكر لله تعالى، وإن كان الأصل في إطلاق اسم الذكر إطلاقه على التسبيح والتهليل والتكبير ونحوها.

ومن هنا يمكن القول إنّ كلّ دعاء بصيغة ليست واردة، فهو ممّا يشمله الأمر الإلهيّ للناس بالدعاء، حيث يقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسراء: 110]، ولم يقل إنّ الواجب على الإنسان أن يدعو الله سبحانه بصيغة واردةٍ فقط. كما أنّ سيّدنا محمّدًا ﷺ قد علّم أصحابه ﷺ أن يدعوا الله بما يحبون، وما يخطر على بالهم من الدعوات، سواء أكانت هذه الدعوات مأثورة أم لا. فمن ذلك ما رويَ عنه ﷺ أنّه قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدأ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ سُبْحانَهُ وَالثَّناءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي على النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شاءَ»[76]، وعن ابن عمر: أنه كان يتشهد فيقول: «بسم الله، التحيات لله، ... يقول هذا في الركعتين الأُولَيَين، ويدعو بما بدا له إذا قضى تشهُّدَه، فإذا جلس في آخر صلاته تشهد كذلك إلاّ أنه يقدِّم التشهد ثم يدعو بما بدا له»[77]. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّال ثُمّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَا لَهُ»[78]. والدعاء بغير المأثور لا خلاف في جوازه بين العلماء، إلاّ في الصلاة، فقد ذهب بعضهم إلى جوازه فيها أيضًا، ومنعه آخرون.

قوله: ويدعو بما بدا له «ظاهر الحديث أن المصلي يدعو بما شاء، قال العيني: اعلم أن العلماء اختلفوا فيما يدعو به الإنسان في صلاته، فعند أبي حنيفة وأحمد لا يجوز الدعاء إلاّ بالأدعية المأثورة أو الموافقة للقرآن العظيم، وقال الشافعي ومالك: يجوز أن يدعو فيها بكلّ ما يجوز أن يدعو به خارج الصلاة من أمور الدنيا والدين»[79].

المسألة الثانية: الأوراد التي لم ترد بأعدادها في الكتاب أو السنّة

أمّا مسألة الأعداد، فقد تتبّع الشيخ الأسمر فيها الأعداد المأثورة ولكن هذا التتبع

76- المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، كتاب الصلاة، باب التأمين، برقم: (840/167)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجه.

77- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، أبواب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم 148

78- حاشية السندي على النسائي، للإمام السندي، كتاب السهو، باب نوع آخر، برقم (1303).

79- انظر: أوجز المسالك 137/2.

لم يكن دائمًا، فقد وجدنا في مواضع من الأوراد التي سبقت دراستها أنّ هذه الأعداد تتفاوت بحسب الذاكرين، وهذا أمرٌ مقبول شرعًا، فنحن نعلم أنّ الأساس في الذكر هو مراعاة حال الذاكر، بل لعلّ مراعاة حال الذاكرين هو ما أرشد إليه النبيّ ﷺ، حين كان يدلّ كلّ واحدٍ من الصحابة ﷺ على عملٍ معيّن مختلف عن غيره، كلٌّ بحسب حاله، فها هو ﷺ يرشد سيّدنا معاذ بن جبلٍ ﷺ أن يقول: «اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[80]، وها هو يوصي جابر بن عبد الله بصلاة الليل ولو كانت بمقدار حلب شاةٍ[81]، ويوصي أبا هريرة بأن يصوم ثلاثة أيام من كلّ شهر، وركعتي الضحى، وأن يوتر قبل أن ينام[82].

وقد يُقال: إنّ الشيخ الأسمر لم يراعِ حال مريديه، بل أمر الكلّ بذكرٍ واحدٍ، فالجواب عليه من وجوه:

أوّلها: أنّه راعى حال عصره، فالأذكار التي جاء بها الشيخ تُناسب جميع الذين كانوا يعيشون في عصره، وهي تناسب كثيراً من المسلمين الذين يعيشون في عصرنا أيضًا.

الثاني: أنّ هذه الأذكار متنوّعة لا يلزم جميعها جميع المنتسبين للطريق، بل لكلّ واحدٍ من المريدين ذكرٌ خاصٌّ به من هذه الأذكار بحسب حاله.

الثالث: أنّ هذه أذكارٌ عامّة لجميع المريدين، لكنّ الشيخ الأسمر أو مشايخ الطريقة العروسيّة من بعده يُعطون لكلّ واحدٍ من المريدين ذكراً خاصًّا به يُناسب حاله، فهذا ذكر عامٌّ، وذلك ذكرٌ خاصّ.

والحقّ أنّه ليس معنى كون هذه الأذكار غير واردة أنّها لم ترد مطلقًا، بل معنى هذا أنّ فيها شيئًا لم يرد، فهي إمّا أن يكون هناك تخصيص لذكرٍ معيّن في وقتٍ معيّن وهذا التخصيص لم يؤثر، وإمّا أن يكون هناك اختيارات لبعض الأسماء الحسنى للدعاء بها، وهذه الأسماء لم ترد مجتمعة في دعاءٍ واحدٍ مأثور، لكنّها وردت متفرّقةً، وورد الأمر بالتوسّل بالأسماء الحسنى كما سبقت الإشارة إليه عامًا فيها جميعًا، وإمّا أنّ هذه الأذكار لم ترد بطرقٍ صحيحةٍ، وإمّا أنّ أجراً معيّنًا قد رُبطَ في الطريقة بذكرٍ معيّن، أو

80- سنن النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم: (1296)، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب الاستغفار، برقم: (1522).

81- رواه الطبرانيّ في الأوسط، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعليّ بن أبي بكر الهيثميّ برقم: (3523).

82- رواه البخاريّ في كتاب التهجّد، باب صلاة الضحى في الحضر، برقم: (1124)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى ...، برقم: (721).

نتيجة متعلّقةٍ به.

فهذه مسائل أربعة ينبغي الإجابة عليها ليتّضح المقصود.

1. إنكار تحديد الذكر بوقت معين

لا شكّ أنّه قد تبيّن لنا من خلال دراستنا لهذه الأوراد أنّ منها ما حدّده رسول الله ﷺ بوقت محدّد، ومن هنا يمكن القول إنّ بعض هذه التحديدات بالأوقات ثابتة عن النبيّ ﷺ. ومن هذه الأذكار أيضًا ما ورد مطلقًا غير محدّد بوقت، ولكنّ الشيخ الأسمر هو من حدّد لها وقتًا، فهل هذا الأمر جائز؟ أم أنّه ابتداع في دين الله تعالى:

والجواب عليه من وجوه:

أوّلها: أنّ هذا الأمر ليس بدعةً، وذلك لأنّ الأصل في الذكر أنّه مباحٌ في كلّ وقت فإذا وجد شخصٌ أو شيخٌ أنّ هذا الوقت أنسب للذكر من غيره فلا بأس به، ولا يصحّ أن يُقال إنّه بدعةٌ، إذ لا بدّ من دليل على كون التخصيص بوقتٍ محرّمًا، وأمّا مجرّد كون هذا الأمر لم يرد، فيقال: إنّه محرّمٌ، فهذا خطأ كبيرٌ، يقع فيه بعض المعاصرين، فينسبون كلّ عملٍ غير واردٍ على صفته التي يُفعل عليها، على أنّه بدعة على هذه الصفة.

ثانيًا: أنَّ هذا التخصيص بوقتٍ، إنّما هو لمناسبة ذلك الوقت لهذا الذكر، إمّا لتمكّن المريد من الذكر فيه، وإمّا لكونه أكثر فراغًا من غيره.

ثالثًا: هناك من الأوقات ما ذُكرَ أنّه يُسنّ فيها الذكر كلّه، فإذا قيل فيها ذكرٌ مسنون أو غيره كان ذلك أرجى لقبول الذكر واستجابة الدعاء. كما هو الحال في الوقت الذي في ثلث الليل الآخر، وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب، وكذلك ليلة الجمعة ويومها، وغيرها من الأوقات، وهذه الأوقات هي التي حدّد الشيخ الأسمر فيها الذكر للذاكرين، ولم يطلب ذكرًا أبدًا في وقت غير مرغّب فيه من الشارع أصلاً.

2. لماذا يُذكر الله تعالى بهذه الأسماء دون سواها؟ لما اختار اسم اللطيف دون سواه؟

اختار الشيخ الأسمر كما رأينا في أوراده وأذكاره عددًا من أسماء الله تعالى الحسنى، فسأله بها، كما مرّ بنا: ففي أوّل الحزب الكبير، يقول الذاكر: «يَا جَبَّارُ يَا مُتَكَبِّرُ يَا قَهَّارُ يَا مُصَوِّرُ يَا نَاصِرُ ...»، وأمّا حزب الطمس، فأوّله: «يَا اللهُ، يَا قُدُّوسُ، يَا وَدُودُ، يَا شَكُورُ، يَا قَابِضُ يَا بَاسِطُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ...»، وهذه اختيارات من الأسماء والصفات التي يدعو بها، وقد يثار سؤال هنا، وهو: لمَ اختار الشيخ هذه الأسماء الحسنى دون غيرها فسأل الله سبحانه بها؟

والجواب عليه: أنّ كلّ اسمٍ من أسماء الله الحسنى يُستعان به لقضاء حاجةٍ من الحاجات، ويسأل الإنسان الله تبارك وتعالى بما يُناسبه من الأسماء الحسنى، فذو الحاجة يسأله سبحانه باسم الكريم، والذي يتوقّع حدوث مصيبة يسأله سبحانه باسمه اللطيف، ليلطف بها فيه، وهكذا ...

ولهذا فإنّ كلّ اسم من هذه الأسماء يُناسب حالاً من أحوال السائلين، فلا يُنكر هذا الاختيار أو ذاك، كما أنّ في تنوّع هذه الأسماء ما يجعل منها صالحة لمعظم حاجات الناس، فهي تجمع في الغالب بين أسماء الجلال والجمال، وفيها الاسم الأعظم، الذي يُناسب كلّ حاجات الناس، ومن هنا لا يبقى اعتراض على الاختيار.

وكذلك ممّا يُقال في هذا المجال: أنّ اختيار الأسماء الحسنى للذكر بها هنا إنّما هو في الأوراد العامّة فحسب، وأمّا الأوراد الخاصّة التي تكون لكلّ واحدٍ من أصحاب الحوائج فهي تكون متنوّعة بحسب حوائج الناس.

3. هل يصحّ الاعتماد على غير الصحيح من الأذكار الواردة؟

وهذا السؤال يُثار كثيراً، فيقال: إنّ هذا الذكر وإن كان واردًا، إلا أنّه غير صحيح، وقد ضعّفه فلانٌ من أهل العلم، وذكره فلانٌ في الموضوعات، والسؤال الذي نريد أن نطرحه هنا: هل تضعيف واحدٍ من (المحدّثين) لحديثٍ فيه دعاء مأثور ما، يجعله غير صالحٍ للدعاء به، بل السؤال الذي سنقوله هنا: ومن قال إنّ الدعاء لا يجوز إلا بالوارد من الأدعية؟ وقد بيّنا ما في هذه الدعوى من البطلان سابقًا، فلتراجع.

إنّ الدعاء بالمأثور وغيره جائزٌ، وقد علّم النبيّ ﷺ أصحابه ﷺ في مواطن أن يدعو كلّ واحدٍ منهم بما يشاء، وأن يذكر الله سبحانه كيف شاء، بل من المعلوم أنّ الله سبحانه قد أمر الناسي بذكره على جميع الحالات، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران: 191]، فهل الذي سيذكر الله تعالى في كلّ حالاته سيلتزم بالذكر الوارد، أو أنّه -لا شكّ- سيلجأ إلى الوارد وغيره، لأنّه كلّه مأذون فيه؟

فالاعتماد على غير المأثور جائز، فإذا كان ثمّة دعاء مأثور ولكنّه غير صحيح (حسنًا كان أو ضعيفًا) جاز الدعاء به، والذكر به، ما لم يكن فيه مخالفة صريحة للمأثور أو لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

4. ربط أجر معيّن بذكر معيّن

وهذه المسألة أيضًا من المسائل التي تُحكى وتؤخذ على أهل الطريق، وهي أنّ

الذاكـرين كـثيراً ما يربطون في أذهانهم بين ذكر معيّن وأجر لهذا الذكر، وهذا الربط في كـثير مـن الأحـيان يكـون غـير واردٍ أصلاً؛ فهو لذلك من باَب الافتيات على الله تعالى، والتألّي عليه سبحانه، وهذا لا يجوز:

والجـواب علـيه: أنّ هـذا الـربط إنّمـا يكـون مـن العوامّ، وكثير ممّن يربطون بين الأذكـار ونـتائجها لـن يطالبوا الله سبحانه بما ظنّوا أن الله سبحانه سيعطيهم إيّاه، كما أنّ الـربط بـين الذكـر وأجـر معيّن لهذا الذكر قد يكون فيه منفعة للذاكر، فتقوى همّته على الذكـر، ويـشتدّ في طلبٍ العدد المراد منه، فيحصل له بذلك من الأجر أضعاف أضعاف ما وُعد به.

ومـن هـنا فإنّ تحديد أجر معيّن لذكر معيّن إن كان واردًا فلا بأس بذكر ما ورد وإن كان ضعيفًا لما فيه من التحفيزّ على أداء هذه العبادة. وأمّا إن كان غير وارد فإنّ هذا الأمر لا يصحّ لأنّه نوعٌ من الافتراء على الله تعالى، ولهذا ينبغي التنبّه إلى مثل هذا الأمر، والله تعالى أعلم.

الخاتمة (نسأل الله حُسنها)

تبـيّن لـنا ممّـا سبق أنّ أوراد الطريقة العروسيّة من أكثر أوراد الطرق مراعاةً لأن تكـون مستقاة من الكتاب أو السنّة لكنّ هذا لم يمنع أن تكون فيها بعض الأوراد التي لم تكن واردة.

وقـد ظهـر من خلال هذه الدراسة أنّ هذه الأوراد منها ما تقرب نسبته من تسعين بالمائة مأخوذة من الكتاب الكريم أو السنّة المطهّرة، ممّا يعني أنّ غالبيّتها أذكار مأثورة عن النبيّ ﷺ. أمّا الأذكار التي لم ترد بصيغتها أو أعدادها فهي محصورة في أذكار قليلة.

وقـد أجبـنا عـن عـدد مـن التـساؤلات التي يُمكن أن تُطرح في هذا المجال من أبـرزها: إنكـار تحديـد الذكـر بوقت معيّن، وإنكار اختيار بعض الأسماء الحسنى للذكر دون سـواها، والاعـتماد علـى الأذكـار المأثـورة غـير الـصحيحة، وربط ذكر معيّن بأجرٍ معيّن.

وقـد تبـيّن لـنا مـن خلال هذه الدراسة أيضًا أنّ الشيخ الأسمر كان حريصًا على تتـبّع المأثـور من الأدعية والأذكار، إلاّ أنّه ليس ثمّة مانعٌ شرعيٌّ من ورود بعض الأدعية والأذكار غير الواردة.

هـذا غاية جهدنا وأقصى ما قدرنا عليه فإن كان صوابًا فمن الله وله الحمد والمنّة والـشكر علـى توفـيقه وآلائـه وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم

وآخـر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصـحابه أجمعين، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: مصادر الطريقة العروسيّة

1. الأنوار السنيّة على الوظيفة الزرّوقيّة، للعلامة أبي زيد العياشيّ، طبع مكتبة زهران، مصر، القاهرة، بدون سنة طبع.
2. تحفة الأقلام على وظيفة الشيخ سيّدي عبد السلام، للشيخ إبراهيم بن عبد الكريم بن إبراهيم التومي، صورة عن مخطوط.
3. تنقيح روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار، في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر ﵁، للشيخ عبد الكريم البرموني، اعتنى بتنقيحه محمد بن محمد بن عمر مخلوف، مكتبة زهران، مصر، القاهرة، بدون سنة طبع.
4. فتح العليم عن مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر بن سليم، جمع وإعداد الشيخ مفتاح فرج محمّد الفيتوريّ، الطبعة الأولى 2003م، طبع مطابع الثورة، بنغازي.
5. الوصيّة الكبرى، لسيّدي عبد السلام الأسمر الفيتوريّ، نشر مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، بدون سنة طبع.
6. الوظائف الثلاث، (الأسمريّة والزروقيّة والحطابيّة) مع بعض أحزاب واستغاثات نافعة، نشر مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، بدون سنة طبع.
7. الطريقة العروسيّة، للشيخ محمّد العجيلي، مخطوط.

ثانيًا: المصادر الحديثيّة

8. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، الأمير علاء الدين علي بن بلبّان الفارسي (ت 739هـ)، الطبعة الأولى 1412هـ 1991م، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط.
9. تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، للإمام جلال الدين السيوطيّ، طبعة دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
10. الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذيّ، لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (ت 279هـ)، طبع دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (1408 هـ 1987م)، بتحقيق وتخريج محمّد فؤاد عبد الباقي.

11. حاشية السندي على النسائي، لنور الدين بن عبد الهادي السنديّ، (ت 1138هـ)، طبع دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1406هـ 1986م، بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة.
12. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ، ابن ماجه، (207-275هـ)، طبعة دار الفكر للطباعة النشرو التوزيع، حقّق نصوصه، ورقّم أبوابه وعلّق عليه، محمّد فؤاد عبد الباقي.
13. سنن أبي داوود، للإمام الحافظ المصنّف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزديّ (ت 275هـ)، طبعة المطبعة العصريّة، بيروت، لبنان، مراجعة وضبط وتعليق: محمّد محيي الدين عبد الحميد.
14. سنن الدار قطنيّ، لعليّ بن عمر الدارقطنيّ، (ت 385هـ)، طبع دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ 1969م، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشورى.
15. السنن الكبرى، للبيهقيّ، طبع دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (1995م، 1415هـ)، بتحقيق وتحشية وتعليق بهجة يوسف حمد أبو الطيّب.
16. سنن النسائيّ، للإمام النسائيّ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطيّ، وبحاشيته شرح الإمام الجليل السنديّ، طبعة دار العلم، بيروت لبنان.
17. صحيح البخاريّ، للإمام محمّد بن إسماعيل البخاري، (ت256هـ) طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، عن طبعة بالأوفست لدار الطباعة العامرة بأسطنبول، 1401هـ.
18. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النيسابوريّ، (ت261هـ)، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1398هـ 1978م، تحقيق وتعليق وضبط وتخريج محمّد فؤاد عبد الباقي.
19. فيض القدير، شرح الجامع الصغير، لمحمّد عبد الرؤوف المناويّ، (ت 1331هـ)، طبع دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ بتحقيق أحمد عبد السلام.
20. المستدرك على الصحيحين، لمحمّد بن محمّد الحاكم النيسابوريّ، (ت405هـ)، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1406هـ تحقيق الدكتور يوسف مرعشلي.
21. المسند، للإمام أحمد ابن حنبل، (ت 241هـ)، طبع دار صادر، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع.

22. الموطّأ، للإمام مالك بن أنس، (ت 179هـ)، الطبعة الأولى 1406هـ طبع دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

ثالثًا: المعاجم العربيّة

23. لسان العرب، للعلامة ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، بدون سنة طبع.
24. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1360هـ